(ستٌّ وستُّون) كلمة، في الاستعداد لرمضان المعظَّم

خالد بهاء الدين

الحمد لله وحده.

فكـرة هـذه الكلـمات في بـالي مـن أربـع سـنوات، ثـم وفَّقنـي الله لكتابتهـا، قاصـدًا بهـا نصـحَ بعـض أقربائـي، وتذكـرة نفسـي.

ثـم اسـتخرتُ الله عـلى نشرهـا راجيًـا عمـوم النَّفـع، قاطعًـا راحتـي الاختياريَّـة مـن مواقـع التَّواصـل، فأعتـذر مـن متابعـة الأسـئلة والتَّعليقـات بعـد ذلـك.

- **(أوَّلًا) من المخاطَب بأن يستعدَّ لرمضان؟**
- **(ثانيًا) ما فائدة الاستعداد لرمضان؟ وما ضرر عدم الاستعداد؟**
- **(ثالثًا) ما هي أعمال رمضان التي تعِدُّ قلبَك وبدنَك لها؟**
  وفيه شرحٌ لمعنى (إيمانًا واحتسابًا).
- **(رابعًا) كيف تستعدُّ لرمضان؟**
  وفيه أنَّ الاستعداد قائمٌ على (ثلاثة أصولٍ)،
  وفيه أيضًا خطَّة استعدادٍ، تبدأ من غدٍ إن شاء اللّه.
- **(خامسًا) إيَّاك والزَّهوَ!**

(أوّلاً) من المخاطَب بالاستعداد؟

١ – ما غايتك من شهر رمضان؟!

لكلِّ إنسانٍ جوابُه الخاصُّ على هذا السُّؤال.

ومعرفة الغاية من رمضان، هي التي تحدِّدُ لك بدرجةٍ كبيرة: لماذا تستعدُّ، وبماذا تستعدُّ.

***

٢ – وأصناف النَّاس فيما يريدون من رمضان، وفي تعاملهم مع الشَّهر المعظَّم؛ كثيرةٌ.

وكنت كتبت عنهم، فطال الأمر جدًّا، بلا طائلٍ يتعلَّق بفكرة الاستعداد لرمضان، فتركت ذلك، واكتفيتُ بالتَّنبيه على: (مَن المخاطَب بالاستعداد لرمضان).

***

٣– أهمُّ مخاطَب بأن يستعدَّ لرمضان هو:

- كلُّ من يريد أن يحصِّل من رمضان (أعظم استفادةٍ إيمانيَّةٍ ممكنةٍ)، وليس يريد: مجرَّد إسقاط الفريضة، وأداء الواجب على أيِّ صورةٍ كانت.
- كلُّ من يسأل: لماذا لا أشعر بحلاوة رمضان في كلِّ عامٍ، إلا بعد أن يمُرَّ نصفُ الشَّهر، أو ثلثاه؟
- كلُّ من يقول: ذهبَتْ حلاوةُ العبادة في رمضان، تلك التي كانت عندي في أوَّل الالتزام، وأوَّلِ سلوك طريق التَّديُّن.

فكيف أستردُّها؟

- كلُّ من يبحث في رمضان كلِّ عامٍ عن (نقطة تحوُّل) في إقباله على الصلاة، والقرآن، والتلذُّذ بالعبادة. لا أن يكونَ مجرَّد مَوسمٍ جاء، ثمَّ انفضَّ، حصَّل فيه بعض الأعمال الصَّالحة، ثم يعود إلى حياة التَّفريط كما كان. ويريد أن يتَّخذَ (هذه المرَّة) الأسبابَ المعينة على ذلك.

*****

(ثانيًا) ما فائدة الاستعداد لرمضان؟ وما ضرر عدم الاستعداد؟

٤– الاستعداد لرمضان مشروعٌ، ومن ضمن أعمال الاستعداد لرمضان الآتي ذكرُها: ما هو واجبٌ في ذاته، دون أن يكون متعلِّقًا برمضان، وبعضها مستحبٌّ غير واجبٍ.

***

٥– فإذا كان سؤالك: إذا لم أفعل تلك الأمور (الواجبة)، فهل (أأثم)؛ فالجواب: نعم بلا شكٍّ.

و(هل يؤثِّر ذلك على درجة صيامك وحسن عبادتك)، فالجواب: نعم بلا شكٍّ.

***

٦– وإن كان سؤالك: إذا لم تفعل الأمور (المستحبَّة) ، فهل (يفسد صيامك)، أو (لا يكون مجزئًا)، أو (يؤاخذك الله يوم الحساب)؟

فالجواب: لا، ليس هذا لازمًا.

***

٧– لكنَّ عدم الاستعداد بالكلِّيَّة، ودخولَ رمضان ببلايا العام المجتمعة على القلب: هو أهمُّ وأعظم سببٍ للتَّقصير في رمضان، والوقوع في المحظور.

ومن باب أولى: هو أهمُّ سببٍ يحجُزك عن الاستمتاع بالعبادة، واستحضار الخشوع، والخضوع بين يدي الله عزَّ وجلَّ.

***

٨– وإن كان سؤالك: إذا فعلت هذه الأمور الواجبة والمستحبَّة، فهل (سيعظم أجرك) أو (سيكون صيامك أصحَّ) أو (سيؤثِّر ذلك على خشوعِك) أو (ستكون حالُك أفضلَ في: الإقبال، والخشية، والتأثُّر بالقرآن، والخشوع في الصلاة) أو (ستتلذَّذُ بالعبادة في رمضان أكثر وأفضل ممن لم يستعدّ)؟

فالجواب: نعم، هذا هو المجرَّب بحمد الله، وهو ما نرجوه من الله الكريم، الرَّزَّاق.

***

٩– في جميع الأحوال: فأعمال الاستعداد لرمضان: كلُّها مشروعة إن شاء الله، إمَّا واجبةٌ، وإمَّا مستحبَّةٌ، فالأجر ثابتٌ مع الإخلاص، إن شاء الله تعالى.

***

١٠- ولا تخرج فكرة الاستعداد لرمضان عن الاشتغال بتطهير (الباطن) و(الظَّاهر)، و(التهيُّؤ) للعبادة، وهما مطلوبان في كلِّ وقتٍ، ومع كلِّ عبادة، خاصَّة الواجبة.

***

١١- وصيام رمضان فرضٌ عظيمٌ، وواجبٌ على الإنسان، وهو من أشدِّ ما يحبُّه الله من الواجبات، ولذلك كانت منزلة هذه الطّاعة، أنَّها ركنٌ من الأركان.

والأركان: بُنيَ عليها الدِّين كلُّه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمسٍ»، ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من هذه الخمسة: «صوم رمضان».

***

١٢- فليس في دين الله الإسلام، بعد الشَّهادتين، أعظم من هذه الأربعة أركان، والصَّوم أحد الأربعة.

***

١٣- في رمضانات كثيرة، تدخل إلى الشَّهر وأنت حريصٌ عليه، مقبلٌ على الله في أوَّل يومين، لكنَّك لا تجد معاني (اللذَّة والخشوع والإخبات والخشية) الحقيقيَّة والمتعة؛ إلَّا في آخر الشَّهر.

***

١٤- سبب ذلك هو: (الرَّين) المجتمع على قلبك من ذنوب طوال العام، فإنَّك لم تبدأ بتبديد هذا الظَّلام الكثيف على قلبك، إلا بعد أن بدأ شهر رمضان!

***

١٥- فإنَّ الذُّنوب حاجزٌ كثيفٌ بينك وبين الخشوع والتَّلذُّذ بالطَّاعات.

***

١٦- وأعمالك التي تبدؤها في أوَّل رمضان، تبدأ في (إزالة) هذا الرَّين، و(تبديد) ظلام القلب، شيئًا فشيئًا، حتَّى إذا انفتح في قلبك قدْرٌ صالحٌ لمرور (النُّور) إلى القلب: بدأتَ تستمتع وتتلذَّذ، وتخشع، وترقُّ، وتُقبل، وتشعر بحبِّ الله ورسوله في قلبك حقًّا!

***

١٧- وهذه أعظم متعةٍ في الدُّنيا! كما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «ثلاثٌ، من كنَّ فيه؛ وجدَ حلاوة الإيمان»، ثمَّ بدأ صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم

بـأوَّل خَصلـةٍ فقـال: «أن يكـون الله ورسـولُه أحـبَّ إليـه ممَّـا سـواهما».

***

١٨- لا بـدَّ مـن تنبيـهٍ مخصـوصٍ عـلى أعظـم عمـلٍ رمضـانيٍّ يُبـدِّد ظـلام قلبـك، ويزيـل الرَّيـنَ منـه، وهـو أنَّـك تُعـرِّض (قلبـك) للنُّـور الهـادي فـتراتٍ طويلـةً، والنُّـور الهـادي هـو (القـرآن)، كلام الله.

***

١٩- فالاسـتماع إلى القـرآن وقراءتـه، في الصَّـلاة وغـير الصـلاة، فـتراتٍ طويلـةً: أعظـم الأعـمال التـي تبـدِّد ظـلام القلـب، لأنَّ الله سـمَّاه نـورًا.

***

٢٠- فبـدلًا مـن استهلاك أيـام مـن رمضـان في (تبديـد الظَّـلام)، ثـم تبـدأ في الاسـتمتاع بالعبـادة، خشـوعًا وحضـور قلـبٍ، وتلـذُّذًا بعـد مـرور نصـف الشَّـهر؛ فلتبـدِّد ظـلام قلبـك قبـل بدايـة الشّـهر، وتزيـل الرَّيـن؛ فيخلـص لـك الشّـهر كلُّـه إن شـاء الله!

***

٢١- الرَّيـن عـلى القلـب وظلامُـه: هـو أثـر المعصيـة والغفلـة، والمعصيـة والغفلـة: تـرك الواجـب، أو فعـل الحـرام.

***

٢٢- الاهتـداء بالقـرآن، ليـس هـو (حصـول النُّـور) في القلـب فقـط، بـل؛ (تبديـد الظَّـلام) أيضًـا، والتَّبديـد أسـبقُ مـن حصـول النُّـور والهدى.

***

٢٣- إذا دخلـتَ شـهر رمضـان بآثـار الذُّنـوب، ثـمَّ وجـدتَ غـيرك قـد قـدروا عـلى مـا لم تقـدر عليـه مـن الطَّاعـة؛ فربَّـما تـسيء الظـنَّ بنفسـك، ويوسـوس لـك الشيطان، فتقـول: أنـا لسـتُ مـن أهـل الطَّاعـة والعبـادة.

فتترك المَوسم ليهرب منك، ثمَّ تفيق في آخر الشَّهر، بعد أن ينفضَّ، فتندم!

***

٢٤- هل سمعت يومًا بعدَّاءٍ لا يتمرَّن قطُّ، ولكنَّه يستطيع أن يفوز بالمراكز الأولى؟!

أو يكون له شأنٌ في سباق مهمٍّ؟

مـن أيـن جاءتـك فكـرة أنَّـك بـدون تـدرُّب عـلى الصِّيـام ولا الصَّـلاة ولا قـراءة القـرآن ولا ذكـر الله، وبـدون تـرك اللغـو والفُحـشِ والظُّلـم؛ أنـك سـيأتي رمضـان فتتحـوَّل فجـأةً إلى وليٍّ صالـحٍ مـن أوليـاء الله، يفعـل كلَّ خـيرٍ ويـترك كلَّ شرٍّ، ويتلـذَّذ بـكلِّ طاعـةٍ، ويكـره كلَّ معصيـةٍ، تأمـره نفسـه بالمعـروف، وتنهـاه عـن المنكـر؟!

هذا محالٌ!

***

٢٥- اتَّفـق النَّـاس عـلى أنَّ الـشَّرف الدُّنيـويَّ والعـزَّ والمـالَ والقـوَّة والعلـم؛ لا تُحصَّـلُ إلا بالكـدِّ والتَّعـب.

والنَّـاس: يمدحـون مـن يتعـب السِّـنين الطَّويلـة في تحصيـل شيءٍ مـن هـذه الأمـور الدُّنيويّة، ويذمُّـون مـن لا يسـعى إلى أيّ شيءٍ منها!

وأنت تريد أن تحصِّل أعظم ملذَّات القلب؛ بلا أيِّ استعدادٍ!

***

٢٦- الخلاصة: عدم استعدادك كلَّ عام؛ هو سبب تأخُّر تلذُّذك بأعمال رمضان.

ولا يتلـذذُّ بالعبـادة في رمضـان أو غـير رمضـان، إلَّا مـن أفسـحَ الطَّريـق للنُّـور، وأزال حجـاب الذُّنـوب الكثيـفِ مـن عـلى قلبـه، ثـم يبـدأ في التقـوِّي بعـد ضعـفٍ، شـيئًا فشـيئًا!

***

٢٧- بقـدر مـا في قلبـك مـن ظـلام المعصيـة، ومـا عليـه من حجـاب كثيـفٍ: تكـون بحاجةٍ إلى مجاهـدةٍ وصـبرٍ وتعـرُّضٍ للنُّـور، قبـل أن تجـد طريـقَ التلـذُّذ والمحبَّة، فـلا تعجل!

لكن؛ سِر على الدَّرب، ولا تملَّ وإن طال الأمر، فمن سار على الدَّرب؛ وصَل.

***

(ثالثًا) ما هي أعمال رمضان التي تستعدُّ لها؟

٢٨- الأعـمال الرمضانيَّـة (الأساسـيَّة) التـي نريـد أن نتهيَّـأ لهـا ونسـتعدَّ، لتحصيـل أقـصى اسـتفادةٍ ممكنـةٍ هـي: الصِّيـام، والقيـام (التَّراويـح)، وقـراءة القـرآن، والصَّدقـة.

وبنفس درجة الأهمِّيَّة: (المحافظة على الحسنات من البطلان).

***

٢٩- الصِّيـامُ (إيمانًـا واحتسـابًا): لقـول النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وعـلى آلـه سـلَّم: «مـن صـام رمضـان إيمانًـا واحتسـابًا؛ غُفـرَ لـه مـا تقـدَّم مـن ذنبـه» [رواه البخـاريُّ ومسـلمٌ].

والصِّيام (إيمانًا) معناه: أن يكون ما يبعثك لأن تصوم: التَّصديق بالله، وبأنَّ الصِّيام شرعُه الحكيم المحبوب إليه، عاملًا بهذا الشَّرع، متَّبعًا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم.

فالإيمان (تصديق وعمل، بالاتِّباع).

***

٣٠- العمل الرَّمضانيُّ الثَّاني الذي نستعدُّ له: قيام كلِّ رمضان (إيمانًا واحتسابًا): لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله سلَّم: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبه» [رواه البخاريُّ ومسلمٌ].

والقيام (إيمانًا) معناه: أن يكون الحامل لك على القيام والتَّعب في الصلاة: التَّصديق بأنَّه شرع الله النَّافع المحبوب، فيعمل بالشَّرع، ويتَّبع الرَّسول.

فالإيمان: (تصديقٌ وعملٌ، بالاتِّباع).

***

٣١- وأعظم القيام: قيام ليلة القدر (إيمانًا واحتسابًا): لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «من يقم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا؛ غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبه» [رواه البخاريُّ وهذا لفظه، ورواه مسلمٌ].

والقيام (إيمانًا)؛ كما سبق.

***

٣٢- ومعنى (احتسابًا) في كلٍّ من الصِّيام والقيام، وكلِّ طاعة في رمضان وغير رمضان:

أن ترجو أنَّ العمل قد سُجِّل لك في صحيفة حسناتك، خاليًا من الفساد، ودون أن تتبعه بما يضيِّع أجره، وسيأتي مزيد شرحٍ.

***

٣٣- ومن الأعمال الرَّمضانيَّة المستحبَّة المهمَّة (قراءة القرآن)، فهو أشدَّ استحبابًا في رمضان من غيره، يدلُّ عليه الحديث الآتي.

ولذلك كان السَّلفُ الصَّالحون؛ يعتنون بقراء القرآن في رمضان، عنايةً تفوق عنايتهم في سائر الشُّهور، وأخبارهم في ذلك مشهورة.

وكذلك: فقراءة القرآن من أعظم ما يؤجَر المسلم عليه، فإنَّ خصيصته أن بكلِّ

حـرفٍ منـه: حسـنة، أو بـكلِّ كلمـةٍ منـه: حسـنة، والحسـنة: بعـشر أمثالهـا.

وكذلك: لأنَّ الله تبارك وتعالى يضاعف الثَّواب في الزَّمن الشَّريف.

فيضاعف العشر حسناتٍ في رمضان ، إلى ما شاء، سبحانه وتعالى.

***

٣٤– وأهـمُّ مـن مجرَّد القـراءة (مدارسـة القـرآن)، قـال ابـن عبَّـاسٍ: «كان رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم أجـود النَّـاس، وكان أجـود مـا يكـون في رمضـان حـين يلقـاه جبريـل، وكان يلقـاه في كلِّ ليلـةٍ مـن رمضـان، فيدارسـه القـرآن، فلَرسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم أجـودَ بالخـير مـن الرِّيـح المرسَـلة».

وقـال النَّـوويُّ رحمـه الله إنَّ مـن فوائـد الحديـث: «اسـتحباب الإكثـار مـن القـراءة في رمضـان».

***

٣٥– وكذلـك ممَّـا يتأكَّـد طلبـه في رمضـان (الصَّدقـة)، ويـدلُّ عليـه الحديـث السَّـابق، فـإنَّ طوائـف مـن العلـماء اسـتدلُّوا بـ(الجـود) عـلى ذلك.

وممَّـا يـدلُّ عليـه أيضًـا قـول رسـول الله صـلَّى الله عليـه وعـلى آلـه وسـلَّم: «مـن فطَّـر صائمًا؛ كان لـه مثـل أجـره» [رواه أحمـد بـن حنبـلٍ وغيره].

وفيه دلالة إن شاء الله على أنَّ إطعام الطَّعام في رمضان؛ أعظم من الإطعام في غيره.

***

٣٦– والمطلوب في كلِّ الأعمال دائمًا، أن تفعلها (إيمانًا واحتسابًا).

***

٣٧– (فالإيـمان): تخليـص العمـل ممـا يبطلـه ممـا يـأتي معـه، مثـل الرِّيـاء: إرادة غـير الله بـه، ومـن إرادة غـير ثـواب الله بـه، فـلا تفعلـه ريـاء، ولا لمصلحـة الدنيـا، مـن مصالـح البـدن مثـلا.

***

٣٨– (والاحتسـاب): تخليـص العمـل ممَّـا يبطلـه مـن أنـواع الذُّنـوب ممـا يـأتي بعـد العمل، ومـن أعظمهـا: العُجْـب بالعمل.

***

٣٩– وقد دلَّ الوحيُ أنَّ من أعظم ما يضيِّعَ حسنات الصِّيام ممَّا يأتي بعده: أن يظلِم الإنسان غيره، فيأخذون حسناتِه.

كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «المفْلِس من أمَّتي: يأتي يوم القيامة بصلاةٍ، و(صيامٍ)، وزكاةٍ، ويأتي قد (شتَم) هذا، وقذَف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفَك دم هذا، وضرَب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيت حسناتُه قبل أن يَقضى ما عليه؛ أُخِذ من خطاياهم فطُرحَت عليه، ثم طُرح في النَّار» [رواه مسلمٌ]!

***

٤٠ – لذلك كان من أهمِّ الأعمال الرَّمضانيَّة: كفُّ النَّفس عن المعاصي بأنواعها، فهذا هو أهمُّ أعمال (الاحتساب) إن شاء الله.

وقد كان العبَّادُ الصَّالحون يحترزون في أيَّام صيامهم كما لا يفعلون في غيره، كما جاء عن أحمد بن حنبلٍ رحمه الله أنَّه سئل عن أحد رواة الحديث، فأراد أن يضعِّفه، فاكتفى بأن يقول: (نحن قوم صيام).

***

٤١ – وقد جاء التَّنبيه على ترك ذلك في الصِّيام خاصَّةً، لعظم أمر الشَّهر المعظَّم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «مَن لم يدَع قولَ الزُّور، والعملَ به، والجهلَ؛ فليس لله حاجةٌ أن يدَع طعامَه وشرابَه» [رواه البخاريُّ]!

فالمقصود بالحديث: ترك المحرَّمات بالقلب واللسان والجوارح، وأنَّها مفسدةٌ لأجر الصَّائم.

***

٤٢ – وفي الحديث أيضًا عن رسول الله صلَى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «رُبَّ صائمٍ حظُّه من صيامه: الجوعُ والعطشُ، ورُبَّ قائمٍ حظُّه من قيامه: السَّهر» [رواه أحمد بن حنبلٍ وغيره].

***

٤٣ – <u>فالخلاصة:</u>

* أنَّ المطلوب في رمضان من الواجبات والمستحبَّات هو: (الصِّيام) و(القيام) و(قراءة القرآن) و(تدبُّره) و(الصَّدقة).

* وكذلك: (المحافظة على ثواب كلِّ هذه الأعمال من البطلان والحبوط، ومن ضياع أجرها).

* وكذلك: (ترك قول الزُّور، ترك العمل بالزُّور، ترك الجهالة)، فإنَّ آثار هذه الأمور مقلقٌ للقلب، مزاحِمةٌ للنُّور الذي تريد أن تدخله إليه، لتتلذَّذ وتجد حلاوة الإيمان!

***

(رابعًا) كيف تستعدُّ لرمضان؟

٤٤ – الاستعداد لرمضان طلبًا لأكبر استفادة من أجر وخشوع وتلذُّذ، يقوم على ثلاثة أصولٍ من الأعمال هي: (منع كلِّ مادَّة الظَّلام والرَّين) و(البدء مبكِّرًا في تبديد ظلام القلب) و(التدرُّب على المطلوب في رمضان).

***

٤٥ – الاستعداد في (شهر رجب)، ثمَّ في (شهر شعبان)؛ هو أهمَّ الاستعداد، وأكثره فائدةً، وهو الذي دلَّ الشَّرع عليه.

***

٤٦ – أهمُّ الاستعداد في (رجب) هو: منع مادَّة الفساد (الظَّلام والرَّين) الدَّاخل على القلب، وهي (التَّوبة).

فليكن انشغالك الأعظم في شهر رجب بـ(التَّوبة)، أو (بترك المعصية والكفِّ عن الذُّنوب).

***

٤٧ – وترك المعصية واجبٌ في كلِّ وقت، والتَّوبة هي وظيفة الإنسان في عمره كلِّه، كلَّ يومٍ، وكلَّ ساعةٍ، وكلَّ لحظةٍ، وليس تركُ المعصية وتركُ الذَّنب وترك ظلم النَّفس خاصًّا برجبٍ، ولا غير رجبٍ.

***

٤٨ – ومع ذلك: فالأصل في اختصاص شهر رجبٍ بتعظيم التَّوبة فيه، وتعظيم أمر الذَّنب فيه؛ هو قول الله تعالى: {إن عدَّةَ الشُّهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السَّماوات والأرض منها أربعةٌ حرُم ذلك الدِّينُ القيِّمُ فلا تظلموا فيهنَّ أنفسَكم}.

***

٤٩ – فقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن شهر رجبٍ؛ هو أحد الأشهر الحرُم الأربعة [رواه البخاريُّ ومسلمٌ].

***

٥٠ – وأحد التَّفاسير الصحيحة المشهورة، المأثورة عن السَّلف والأئمَّة، لمعنى قول الله تعالى {فلا تظلموا فيهنَّ أنفسكم} هو: لا تظلموا أنفسَكم في الأشهر الحرم (ومنها رجبٌ) بارتكاب الذُّنوب، لأنَّ الوِزرَ في هذه الشُّهور؛ أعظم، والمعصية فيها؛ أشدُّ!

***

٥١ – ابدأ من رجبٍ (أو ما بقي منه) في (منع زيادة الرَّين على قلبك)، بالتَّوبة، وبالكفِّ عن مشتِّتات العزم.

***

٥٢ – التوبة:

- اترك كلَّ معصية تعرفها، وافعل كلَّ واجبٍ تعرفه.
- لا تتكلَّم بالذَّنب: لا تكذب، لا تغتَبْ، لا تشتِم، لا تنمَّ.
- لا تنظر إلى الحرام، فالنَّظرات سهامٌ مسمومةٌ، مغيّرةٌ للقلب، حاجزةٌ عن للخير.
- لا تستمع إلى الحرام، لا تستمع إلى الغيبة والنميمة، والظلم والبهتان، لا تستمع إلى المعازف والغناء!
- فحتَّى أولئك الذين لا يقولون بحرمة المعازف والموسيقى، يعترف العقلاء الحاذقون منهم أنَّه المعازف والموسيقى: مُزاحِمة للقرآن، مبعِدة عن فهمه والتَّأثُّر به، كما يقوله فريد الأنصاريُّ وغيره.
- لا تأكل الحرام، «أطِب مطعمك؛ تكن مستجاب الدّعوة».
- لا تشاهد الأفلام، ولا المسلسلات، فإنها لا تخلو أبدًا من المحرَّمات.
- أبعِد قلبك عن المؤثِّرات التي تشتِّت عزمَه، امنع مواقع التَّواصل إلا فيما تتيقَّن فائدته، لا تلهث خلف الأخبار، والجدال، تقرأ نفس الخبر مائة مرَّة، وألف تعليق عليه، وتدخل في ألف جدالٍ حولَه!
- لا تقرأ للبطَّالين، الكذَّابين، أهلِ البُهْت، قليلي الأدب والمروءة.
- قاطع أصحاب السُّوء، الذين يدعونك إلى الشرِّ، ولا يطيعونك في دعوتك

إلى الخـير، أو الذيـن لا تسـتطيع أن تدعوهـم للخـير لشـدّة بُعْدِهـم، وصاحـب أهـل الطَّاعـة، الذيـن إن عصَـوا؛ ندمـوا، ولم يجاهـروا.

- مُرْ نفسك والنَّاس بالمعروف والطَّاعة، وانه عن المنكر والعصيان.

***

٥٣- واعلم أنَّك تمدُّ قلبك بما تريد، من طريقين (السَّمع) و(البصر).

كـما قـال الله تبـارك وتعـالى: {والله أخرجكـم مـن بطـون أمَّهاتكـم لا تعلمـون شـيئًا وجعـل لكـم السَّـمع والأبصـار والأفئـدة لعلَّكـم تشـكرون}.

فاحم سمعك، وبصرك، أن يَدخل من أحدهما الزَّيغُ والرَّيب إلى قلبك.

- واعلـم أنّـك إن أدخلـت خـيرا وحقًـا (كالقـرآن والسُّـنَّة)، سـعِدتَ، فـإذا أكثـرت منـه؛ تلـذَّذتَ.

وإن أدخلـتَ شرًّا وباطـلًا، كالغنـاء والمعـازف، ومشـاهدة الأفـلام والعـورات؛ أثِمـتَ وحزِنـتَ، فـإن أكثـرتَ؛ كانـت عيشـتُك ضنـكًا، وكنـت واضعًـا بنفسـك حجابًـا عـلى قلبـك، تحتـاج إلى المجاهـدة الطّويلـة حتـى تزيلـه، ثـم يعـود قلبـك صافيًـا، فتفهـم الحـقَّ وتحبُّـه!

- واعلـم أنَّ (الإكثـار) مـن الباطـل غـير المحـرَّم، كاللّهـو المبـاح والمكروهـات؛ لا خـير فيـه، بـل هـو بـاب الغفلـةِ الواسـع.

وقـد يُطلـب اللهـو المبـاح أحيانًـا، بـلا إكثـار، ولا اتِّخـاذه حرفـةً، حتـى لا تسـأم النَّفـس، والـكلام عـن الإكثـار، واتِّخـاذه عـادةً دائمـةً، أو حرفـةً، مـع خلـو حياتـك مـن حـقٍّ يقابله، يغـذِي قلبـك، فهـذا هـو المذمـوم.

***

٥٤- فأهـمُّ وظيفـةٍ لـك في (رجـبٍ): التوبـةُ، فبذلـك توقِـف إمـداد قلبـك بـمادَّة الفسـاد والظُّلمـة.

***

٥٥- ويساعد على ذلك: أن تزيد في أعمال البرِّ في رجبٍ:

- أضِـف رُبعًـا أو رُبعـين (يوميًـا) إلى ورد القـرآن في رجـبٍ، وإن كنـت لا تقـرأ شـيئًا، فاقـرأ ربعـين كلَّ يـوم إلى نهايـة رجـب، ولا تـزد.
- أضِف صيام يومٍ في الأسبوع في رجبٍ، ولا تزد، ابدأ بصيام غدٍ الاثنين.

- لا تؤخِّر صلاة الفريضة عن وقتها، ثمَّ يأتي رمضان فتسأل (لماذا لا أصبر على صلاة النافلة)؟!!
- تصدَّق ولو بالقليل، أطعم مسكينًا!

***

٥٦- وأمَّا شهر (شعبان)، فأعظم وظائفك فيه استعدادًا لرمضان، مع استمرار التَّوبة الرجبيَّة وكفِّ الأذى عن النَّفس:

أ- (تبديد الظَّلام والرَّين، وإزالة أثر المعصية).

ب- (التدرُّب على أعمال رمضان).

***

٥٧- السِّحر الحلال، في إزالة أثر المعصية، وتبديد ظلام القلب، وجلاء الرَّين من عليه هو: ذكر الله!

- حافظ على مجلس ذكرٍ كلَّ يومٍ في أوَّل النَّهار، تقعد فيه خاليًا من كلِّ شيءٍ، إلا ذكر الله.
- وأصول الأذكار: (سبحان الله) و(الحمد لله) و(لا إله إلا الله) و(الله أكبر) .
- (لا حول ولا قوَّة إلا بالله)؛ كنز من كنوز الجنَّة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم.
- وأذكار بعد الصلَّاة (التَّسبيح والتحميد والتكبير، ثلاثة وثلاثون مرَّة لكلٍّ، ثم تقول تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيءٍ قدير): تغفر الخطايا، وإن كانت مثل زبد البحر، [رواه مسلم].
- وقال رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرَّةٍ؛ حُطَّت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر» [رواه البخاريُّ ومسلمٌ]!!
- وحافظ كلَّ يوم على (حرزك من الشيطان):

(لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير) مائة مرّة، بتدبُّرٍ وتخشُّع!

أخبر رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أنَّ من قالها في يومٍ: «كانت له عَدل

عـشر رقـابٍ، وكُتبت لـه مائـة حسنةٍ ومُحيت عنـه مائـة سيِّئةٍ، (وكانـت لـه حـرزًا مـن الشَّـيطان، يومَـه ذلـك، حتـى يُمسي) ولم يـأت أحـدٌ أفضـل ممَّـا جـاء بـه، إلا أحـدٌ عمـل أكثـر مـن ذلـك» [رواه مسـلمٌ]!!

***

٥٨- أعظـم مـا يزيـل الرَّيـن، هـو تعريـض القلـب (للقـرآن) كـما سـبق، فإنَّـه نـور، وهـدى، يـبرئ مـن الظَّـلام والضـلال!

***

٥٩- قرآن شعبان استعدادًا لسباق رمضان:

- قـال سـلمة بـن كهيـل: «كان يقـال: شـهر شـعبان؛ شـهر القـرآن» [وسـلمة تابعـي، رأى بعـض الصحابـة وروى عنهـم، وعـاش في زمـن التابعـين، مـات سـنة ١٢٢].
- وكان حبيـب بـن أبي ثابـت إذا دخـل شـعبان قـال: «هـذا شـهر القُـرَّاء» [وهـو مثـل سـلمة، وتـوفي سـنة ١٢٢].

***

٦٠- فاقـرأ القـرآن في شـعبان، كـما تحـبُّ أن تقـرأه في رمضـان، جاهـد نفسـك، وزد، وتدبَّـر، واسـتعن بمختـصَرٍ في التَّفسـير.

***

٦١- صيام شعبان استعدادًا لرمضان (مع استمرار التَّوبة وكفِّ الأذى عن القلب):

- قالـت عائشـة رضي الله عنهـا: «مـا رأيـت رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم اسـتكمل صيـام شـهرٍ إلَّا رمضـان، ومـا رأيتـه أكثـر صيامًـا منـه في شـعبان» [رواه البخـاريُّ ومسـلمٌ].
- وقالـت رضي الله عنهـا: «لم يكـن النبـيُّ صـلَّى الله عليـه وسـلم يصـوم شـهرًا أكثـر من شـعبان، فإنَّـه كان يصـوم شـعبان كلَّـه» [رواه البخـاريُّ وهـذا لفظـه، ورواه مسـلمٌ].
- وقـد سـألَ أسـامة بـن زيـدٍ رسـول الله عـن سـبب ذلـك، فقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وسـلَّم: «ذلـك شـهرٌ يغفُـل النَّـاس عنـه، بـين رجـبٍ ورمضـان، وهـو شـهرٌ ترفَـع فيـه الأعـمال إلى ربِّ العالمـين، فأُحـبُّ أن يُرفـع عمـلي وأنـا صائـمٌ» [رواه أحمـد بـن حنبـلٍ وغـيره].

***

٦٢– نوافل الصلاةِ والصَّدقة، وأعمالُ البرِّ:

خُذْ هذا النصَّ الجامع النَّفيس، قال ابن رجب رحمه الله في ذكر أحد معاني صوم شعبان، وعباداته:

«صيامُه كالتَّمرين على صيام رمضان، لئلَّا يدخلَ في صومِ رمضان على مشقَّةٍ وكُلفةٍ!

بل؛ قد تمرَّن على الصِّيام واعتادَه، ووجد بصيام شعبان قبلَه حلاوة الصِّيام، ولذَّته، فيدخل في صيام رمضان بقوَّةٍ ونشاطٍ.

ولَّما كان شعبان كالمقدِّمة لرمضان: شُرِع فيه ما يُشرَع في رمضان، من الصِّيام، وقراءة القرآن.

ليحصل التَّأهُّبُ لتلقِّي رمضان، وترتاض النُّفوس بذلك على طاعة الرحمن» انتهى كلام ابن رجب.

***

- أعظم النَّوافل، هي السُّنن الرَّواتب، قبل وبعد الصلوات الفرائض، لا تدَعْها في شعبان، من باب التمرين على رمضان!
- لا تحرم نفسك من ركعتين كلَّ ليلةٍ في شعبان!

قم بالليل وقف بين يدي الله، تتمرَّن على رمضان، وما تريده في ليلة القدر!

فإنما العلم بالتعلُّم!

اقرأ من المصحف إن شئت، اسجد وقل لله ما شئت، واطلب منه أن يجمع عليك شملك، ويكتبك في أهل الطّاعة والإيمان.

- زد في الوقت كلَّ يوم، إما تطويلا في القراءة، أو زيادةً في عدد الرَّكعات..

فتدخلُ رمضان وأنت متهيِّءٌ للسباق بإذن الله.

***

(خامسًا) إيَّاك والزَّهوَ!

٦٣– إيَّاك والزَّهوَ، يا مسكين!

فإذا أتيت بكلِّ هذه الأعمال على وجهها، فالمرجوُّ أن يمنَّ الله عليك، ويدخلك في زمرة الطَّائعين، فالخير كلُّه منه، وإليه، وبيده.

ادخل على الله (دائمًا) من باب (الفقير الذي يطلب من الغنيِّ)، والمحتاج الذي (يتسوَّل) الهداية، مهما كان عملُك!

٦٤– ولا تنظـر إلى نفســك، فإنّــك قــد تفعــل كلَّ هــذه الأســباب، ثــم تُحــرَم بالكبريــاء المذمــوم!

٦٥– وقــد لا تفعــل إلا القليــل، مــع التذلُّــل لله، وكثــرة الدُّعــاء بالهدايــة، فيقبلــك الله، ويشــكر لــك!

٦٦– اطلــب مــن الله أن يهديــك، وألــحَّ عليــه في الطلــب، ولا تــدَعْ دعــاء الله أن يلهمــك رشــدَك، فإنَّــه هــو الــذي يَهــدي، ويرفــع، ويحــوط وينــصر، ويزكِّــي مــن يشــاء، والله يقــول الحــقَّ {وهو يَهــدي الســبيل}!

سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.